

اسم المادة: مع المثالية

من سلسلة: وقفات تربوية مع السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: مع المثالية
من سلسلة: وقفات تربوية مع السنة النبوية
لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد؛
حياكم الله إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات ومرحبا بكم ولقاء جديد مع هذه السلسلة.

السلسلة التي تدور حول معنى الوقفات التربوية مع السنة النبوية، والحقيقة قبل ما نبدأ في هذه السلسلة وتفاصيلها حابب بس أشير الأول إلى شيء مهم؛ احنا يمكن عندنا مفهوم الوقفات التدبرية مع كتاب الله –سبحانه وتعالى– هو مفهوم في قمة الوضوح. يعني تدبر كتاب الله ومحاولة التعمق في معانيه واستنباط حِكَمُه وأحكامه من الأمور المستقرة في الأذهان، بل وتدبر القرآن يعني ورد فيه النص "أفلا يتدبرون القرآن" النساء:٨٢، ومفهوم ومعنى التدبر في كتاب الله –سبحانه وتعالى– مستقر في الأذهان. لكن الشيء اللي مش واضح لنا؛ أن الإنسان يحتاج إلى تدبر ليس فقط في آيات الله –سبحانه وتعالى– المتلوة في كتابه، بل الإنسان يحتاج إلى وقفة تدبرية في كل شيء حوله.

– يحتاج أن يتدبر في نفسه هو "وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" الذاريات:٢١.
– يحتاج إلى النظر فيما حوله من الآيات والشرع أيضًا حضنا إلى النظر والاعتبار في هذه الآيات الكونية حول الإنسان.
– التدبر في أحوال الأمم السابقة وكيف كان حالهم وكيف كان مآلهم.
– التدبر في سنن الله –سبحانه وتعالى– في كونه.

يعني الأمور التي تحتاج من الإنسان أن يقف وقفة تدبرية أكثر بكثير جدا من المفهوم الذي يقتصر العقل عليه، اللي هو مفهوم تدبر آيات الله –سبحانه وتعالى– التي يتلوها الإنسان في الكتاب. فما بالك أيضًا وأنا أتعامل مع نص؛ هذا النص هو من الوحي ألا وهو السنة.

السنة وحي من الله –سبحانه وتعالى– وحي بمعناه وملفوظ بلفظه من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، الإنسان يحتاج إلى هذه الوقفة التدبرية مع هذا النص أيضًا، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "ألا إِنّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ معهُ"[1] فهذا الذي قاله رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذا الذي فعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، هذا أيضًا من الوحي الموحى، فأنت تحتاج كما أنك تفهم جيدا الوقفة

[1] صحيح أبي داود



للتدبر مع آيات –سبحانه وتعالى– تحتاج أيضًا إلى إعادة تأصيل هذا المفهوم؛ مفهوم تدبر سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، الإنسان يكون له وقفة يتأمل فيها هذا الذي ورد عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ويستخرج منه أيضًا العظات والعبر.

فالوقفة التدبرية مع سنن النبي –صلى الله عليه وسلم– لها الكثير من الجوانب؛ أنا سأركز في هذه السلسلة على الجانب التربوي عندما يتدبر الإنسان في سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–. بإذن الله كده مع اللقاءات المتوالية سيتضح لنا أننا بيننا وبين هذا الكنز العظيم، بيننا وبينه مفاوز. نحن محرومون من هذه الفوائد والعبر محرومون من هذه الدروس المنهجية التي تؤصل للإنسان منهجية حياته في تعامله مع نفسه تعامله مع من حوله، وطبعا تعامله مع رب العزة –جل وعلا–.

محرومون كثيرا من هذه الأمور التي تضبط للإنسان سلوكه، تضبط له معاملاته، تضبط له بوصلة حياته، فهذه محاولة فقط لإلقاء بعض الضوء وسنجد بإذن الله الخير العظيم كما سيتضح لنا مع خطواتنا.

وأول حديث أقف فيه مع حضراتكم هو هذا الحديث الذي أورده الإمام مسلم عن جابر –رضي الله عنه– قال: "أَتَى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ النُّعْمانُ بنُ قَوْقَلٍ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أرَأَيْتَ إذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَةَ، وحَرَّمْتُ الحَرامَ، وأَحْلَلْتُ الحَلالَ، أأَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: نَعَمْ"[٢].

هذا الحديث يعني فيه جاء الصحابي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وكان هذا في بداية الإسلام، بداية إسلام هذا الصحابي، سأله سؤال واضح ومباشر يا رسول الله أنا سأقوم بماذا؟ سأقوم بعمل الآتي:

– سأقوم بأداء ما افترضه الله علي واقتصر على ذلك.

– وسأقوم كذلك بالابتعاد عن الحرام واقتصر على ذلك، يعني قال له: لن أزيد على هذا أبداً، مجرد فقط إني أنا سأقتصر على هذا القدر أهذا القدر لو أنا فعلته أيكون هذا باب لدخولي الجنة؟ فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: نعم. وهذا ليس هو الحديث الوحيد حول هذا المعنى. هناك عدة أحاديث أيضًا ورد فيه مثل هذا الموقف منها مثلا أن رجلا جاء للنبي –صلى الله عليه وسلم– يسأله عن الإسلام: "فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: خَمْسُ صَلَواتٍ في اليَومِ واللَّيْلَةِ فقالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قالَ: لا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ، وصِيامُ شَهْرِ رَمَضانَ، فقالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فقالَ: لا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ، وذَكَرَ له رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ الزَّكاةَ، فقالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُها؟ قالَ: لا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ، قالَ: فأدْبَرَ الرَّجُلُ، وهو يقولُ: واللَّهِ لا أزِيدُ علَى هذا، ولا أنْقُصُ منه، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أفْلَحَ إنْ صَدَقَ"[٣].

أنا عايزك تتخيل كويس الموقف ده، يعني واحد جاء للنبي –صلى الله عليه وسلم– وقال له: أنا سأقتصر على أداء الفرائض ولن أزيد على هذا مش هأتي بشيء من التطوعات. النبي –صلى الله عليه وسلم– قَبِل منه هذا، بل والعجيب أنه قال له أفلح إن صدق، يعني الإنسان اللي هيعمل كده كذلك ويقتصر على هذا؛ هذا سيكون من المفلحين لو فعلا استطاع أن يفعل هذا. الإنسان بيسأل طب كيف يكون ذلك؟ كيف يقبل منه النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يقتصر فقط على هذا القدر؟ بل وكيف يقبل منه أن يقسم على هذا؟ يعني مثلا الرجل مش جه قال أنا هاقتصر على هذا وخلاص لا ده أقسم على هذا والله لا أزيد على هذا.

طب هل يجوز للمرء أصلا إنه ينوي في قلبه أن يترك شيء من الخير؟ هل يجوز له حتى أن يقسم على أن يترك الخير؟ يعني مش مجرد بس إن هو حط في ذهنه إن هو مش هيقوم بكل هذا الخير ده كمان ده بيقسم على هذا. هذا أمر محير.

---

٢ صحيح مسلم

٣ صحيح مسلم



يعني لما تيجي تنظر للمشهد؛ المشهد مش بسيط، لا، محتاج مننا فعلا وقفة تدبرية. كيف حدث هذا؟ وكيف قبل النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا؟ لما تيجي تنظر بقى النظرة التدبرية اللي احنا عايزين بنتكلم عليها وتتأنى كده وتخرج بالمنحى التربوي اللي احنا بنتكلم عليه هتجد إن هذا هو منهج الشرع منهج يحتاج منك إلى عمق الفهم.

المنهج الصحيح اللي أرساه لنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في التعامل مع الأشخاص، مع المواقف، مع الأحوال أن ليس هناك قاعدة واحدة ثابتة للتعامل مع كل الأشخاص ومع كل الأحوال وكل المواقف، بحيث إن تكون هذه غير قابلة للتغير وغير قابلة للتعديل، لا، الشرع راعى أحوال الناس وطباعهم وظروفهم، وراعى البيئة التي يعيشون فيها وراعى كثير من المعطيات قبل أن يكون هناك حكم نهائي في حق شخص بعينه.

يبقى عندنا مفهوم وجود قاعدة تشريعية عامة، وجود حكم عام، هذا مفهوم، لكن تنزيل الأحكام على الأشخاص هذا له منهج مخصوص وله فقه مخصوص فعشان كده هنا لما العلماء بدأوا يتناولوا هذا الحديث وغيره من الأحاديث اللي تناولت مثل هذا الموضوع كان لهم برضه يعني عدة آراء ووجهات نظر في تفسير هذا الموقف، لكن مجمل ما يقولونه لما تيجي تشوف كده أغلب كلامهم بيدور حوالين هذا المعنى الذي ذكرته لك. إن هذا راجع لاختلاف أحوال الأشخاص، فالمنهج الذي وضعه الشرع هو مراعاة الأحوال، مراعاة الناس. قد يُقْبل من بعض الناس شيء ولا يقبل من غيرهم. قد يُقْبل من شخص معين شيء ولا يقبل من غيره. بل قد يقبل من شخص معين شيء ولا يقبل أيضًا من هذا الشخص هذا الشيء في وضع ثاني.

هذه هي فكرة المرونة؛ المرونة التشريعية، فكرة أن هذا الشرع فعلا هو الشرع الخاتم الذي نزل ليستوعب الناس في كل أحوالهم في كل زمان وكل مكان. وهذا المعنى الذي ذكرته لك موجود له الكثير من النماذج في كثير من النصوص. تعالوا نتدبر برضه في بعض الوقائع التي تؤكد القاعدة اللي أنا ذكرتها لك. عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–: "أنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَنِ الهِجْرَةِ، فَقالَ: وَيْحَكَ، إنَّ شَأْنَ الهِجْرَةِ لَشَدِيدٌ، فَهلْ لكَ مِن إبِلٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَهلْ تُؤْتِي صَدَقَتَهَا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَاعْمَلْ مِن وَرَاءِ البِحَارِ، فإنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِن عَمَلِكَ شيئًا"[٤].

يعني ايه هذا الحديث؟ هذه واقعة أيضًا جاء رجل من الأعراب إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكان هذا في بداية مقدم النبي –صلوات الله عليه– إلى المدينة وكان في هذا الوقت بدأت مسألة الهجرة وكانت الهجرة متاحة، وطلب الشرع ممن كانوا من أهل مكة أن يهاجروا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في المدينة، فجاء هذا الرجل وهو كان من الأعراب فسأل النبي –صلى الله عليه وسلم– أنا أريد الهجرة، أريد أن أهاجر إليك يا رسول الله. شيء طبيعي اللي أنا أفهمه طبعا مرحبا أهلا وسهلا ده عمل عظيم ده عمل الشرع طلبه أصلا، لكن نجد أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال لهذا الرجل لا، انت ما تهاجرش شَأْنَ الهِجْرَةِ لَشَدِيدٌ. طب نفهم إيه من هذا الموقف؟ نفهم أن الهجرة كانت ممنوعة على الناس ما عدا أهل مكة؟ لا أبداً هناك من غير أهل مكة من هاجروا. إنما هنا النبي –صلى الله عليه وسلم– راعى حال هذا الإنسان بعينه؛ هذا الإنسان كان فيه من أحواله ومن طباعه ومما يبدو من شأنه أنه لن يستطيع تحمل تبعة، الهجرة فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال له إن شأن الهجرة شديد؛ أي شديد في حقك انت لن تستطيع أن تفعل هذا الأمر. فسأله هل انت يعني تعطي ما عليك من الحقوق وتؤدي ما عليك من الواجبات فقال له: نعم يا رسول الله، فلأجل هذا قال له اعمل من وراء البحار. البحار جمع بحيرة اللي هي القرى فقال يعني اعمل في المكان الذي انت فيه وافعل ما أمرك الله به والله يقبل منك هذا.

---

[٤] صحيح مسلم



يبقى إذاً هذا الإنسان قُبِلَ منه ما لم يقبل من غيره، الهجرة كانت مطلوبة من غيره بل وكانت واجبة في حق غيره، بينما في حقه هو قيل له لا أنت لا تهاجر. عمل واحد هو نفس العمل؛ الهجرة هذا العمل كان مطلوبا من إنسان وغير مطلوبا من إنسان، كان مقبولا من إنسان وغير مقبولا من إنسان.

فهنا الإنسان يتفتح المدارك ويفهم، يفهم ازاي ان هو يتعامل مع أمور الشرع بشيء من الفقه والفهم. أن يكون هناك تدبر لهذه الأحكام، الأمر لا يلقى هكذا، لابد أن يكون هناك فقه للتعامل مع هذا النص والتعامل مع هذا الحكم.

نفس القضية أيضًا وقعت في واقعة أخرى، النبي –صلى الله عليه وسلم– قَبِل التصدق بجميع المال من شخص واحد ألا وهو أبو بكر الصديق –رضي الله عنه–. اسمع كده لهذا الموقف: عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: "أمرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ نتصدقَ، فوافقَ ذلك عندي مالًا –في هذا الوقت كان الحمد لله ربنا موسع عليه وآتاه الله مالا فوافق هذا مال عند سيدنا عمر– فقلت: –في نفسه– اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقْتُهُ يومًا –شوف الهمة يعني هو حاطط في دماغه أن هناك إنسان يسبقه إلى الله –سبحانه وتعالى– فرصة، فرصة يجد باب يجد موقف يستطيع فيه أن يحوز قدم السبق ويتقدم بخطوة على هذا العبد المجتهد أبو بكر الصديق –رضي الله عنه وأرضاه–، قال: فجئتُ بنصفِ مالي –جاب نصف المال اللي عنده ووضعه بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ما أبقيتَ لأهلِكَ؟ قلتُ مثلَهُ –يعني أنا قسمت المال نصفين نصف أتيت به ونصف عندي– وأتى أبو بكرٍ بكُلِّ ما عنده، فقال يا أبا بكرٍ: ما أبقيتَ لأهلِكَ؟ فقال: أبقيتُ لهمُ اللهَ ورسولَهُ، قلتُ: لا أسبِقُهُ إلى شيءٍ أبدًا"[٥]. سيدنا عمر خلاص أعلن أنا مش هقدر أسابق هذا الإنسان الذي تفرد في كل هذه الأبواب واللي بلغت همته أعلى الدرجات.

طيب ده هنا موقف النبي –صلى الله عليه وسلم– قَبِلَ مِنْ مَنْ؟ قَبِل من أبي بكر المال كله. هل يا ترى كل من عرض على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن يأتي بكل ماله قبل منه؟ لا، اسمع، الصحابي الجليل كعب بن مالك –رضي الله عنه وأرضاه– في قصة توبته المشهورة قال في نهايتها: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله –صلى الله عليه وسلم– فقال –صلى الله عليه وسلم–: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. وأيضًا يعني هناك مواقف أخرى رفض فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– أن تكون الصدقة بجميع المال.

يبقى إذًا هناك من يقبل منه بعض الأعمال ولا يقبل من غيره. طب ده معناه إيه؟ معناه أن هذا الإنسان له منزلة وله حال قد يقبل منه مثل هذا العطاء العظيم ومثل هذا البذل الكبير؛ غيره قد لا يتحمل هذه المنزلة، لأجل هذا يُخاطب عموم الناس بما يناسب عموم الناس. وكان هناك بعض الأبواب للتفرد بين الناس، فلا يخاطب العموم بما يخاطب به الخصوص.

فهنا في هذا الحديث الذي كنا ذكرناه هؤلاء الذين أتوا للنبي –صلى الله عليه وسلم– وقالوا يا رسول الله سنقتصر على هذا، سنفعل هذا ولا نفعل هذا، سنقتصر على أداء الواجبات ولا نفعل الطاعات. هؤلاء كان ذلك هو حالهم وكان هذا في أول الإسلام في بداية إسلامهم، فكانوا لا يزالون في بداية الطريق ولم تنشرح صدورهم هذا الانشراح الكبير بالإسلام ولم تعتد جوارحهم الطاعات ولم يكن هناك الحياة الإيمانية الكاملة، لازالوا في البداية، فلأجل هذا مع هذا الموقف في هذا الوقت تحديدًا قبل منهم الشرع ما لا يقبله من غيرهم. قبل منهم أن يقولوا سوف نقتصر على هذا الجزء نقتصر على هذا العمل ولن نزيد.

---

[٥] صحيح الترمذي



لكن السؤال هل بقي هؤلاء على هذا الحال؟ لا، لم يقتصروا على هذا ولم يستمروا على ما هم عليه. قصة الصحابي الجليل النعمان بن قوقل الذي التي بدأنا بها سنجد أن هذا الصحابي اختلف حاله تمامًا لم يفعل ما قاله، لم يقتصر على أداء الواجبات بعد ذلك بل الذي يطالع سيرته سيجد أنه –رضوان الله عليه– استشهد بعد ذلك في غزوة أحد. يعني إنسان كان بيقول إيه؟ بيقول أنا سأقتصر على أداء الواجبات. أنا لن أقوم بأي شيء من الطاعات أصلًا. بلغ به الحال بعد ذلك أنه صار ينافس في أعلى الدرجات. وصار يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.
فهؤلاء كانوا على حال معين وارتقت بهم الأحوال بعد ذلك لما كانوا فيهم هذا الصدق مع الله –سبحانه وتعالى–، فكان هناك قبول لحالهم في أول الأمر ثم كان هناك قبول لحالهم بعد ذلك عندما ترقوا في مدارج العبودية وترقوا في منازل الإيمان.

فهنا الذي أريد أن أقف معه هذه الوقفة التربوية المنهجية أن الشرع ليس فيه هذه النظرة المثالية الزائدة ليس فيه انفصال عن الواقع، الدين يعالج أمر الحياة على ما هي عليه، يتعامل مع أحوال الناس على ما هم عليه، يرقي منهم ويهذب منهم ويغير من أحوالهم ولكن يكون هذا بالحكمة ويكون هذا بشيء من الفهم لطبيعة النفس البشرية، والفهم لكيفية أن يكون الإنسان على أحوال متغيرة. الدين يراعي الطبائع ويراعي الأفهام ويراعي القدرات، فلا منه يقر الواقع تماما على ما هو عليه فيصير الدين محض أهواءٍ بشرية، وكذلك لا يكون قيمًا مثالية موغلة في المثالية منفصلة تماما عن الواقع بحيث أن يكون هناك عجز عن الوصول لهذه الدرجات، لا؛ الدين دين واقعي حتى عندما يخاطب الناس ويخاطب عموم الناس ويخاطب أحدهم بشيء من التكاليف التي قد تبدو فيها شيء من المشقة فاعلم أن هذه المشقة هي محتملة أصلًا، وأعلم أن الإنسان لا يوضع عنه إلا ما كان خارج إطار القدرة المعتادة والقدرة المتوسطة في أحوال الناس. هنا الشرع فعلا بيعلمنا هذه المنهجية، هذه المنهجية أصلًا ستختلف في نظرتي أنا لنفسي ونظرتي لمن حولي حتى أنا عندما أتعامل مع نفسي، أنا عندما أريد أن أرقي من حالي لا توغل في المثالية. اجعل هذا هو منهجك، كن واقعيا، خذ من الأعمال ما تطيق وخذ من الأعمال ما يناسبك أنت. قد يكون ما يناسبك لا يناسب غيرك فلا تقل مثلا أنا سأفعل كذا وكذا وكذا، والإنسان في الغالب مثلاً في مواسم الطاعات يبدأ يحط جداول عظيمة جدا ويحط أهداف كبيرة جدا شيء حسن، لكن الأحسن منه أن يكون لك هذه النظرة المنهجية، أن أُراعي حالي وأن أتدرج مع أحوالي أن يكون لي نظرة واقعية. أنا والله إنسان بعمل وعملي عمل استنزافي طويل، بشتغل من صباحية ربنا كده لحد آخر النهار وأحيانا بعض الناس ممكن بتعمل في عملين وبعض الناس في أكثر من عمل وكل هذا لتوفير الحد الأدنى مثلا من متطلبات الحياة. فهذا الإنسان فعلا له ظروف خاصة هو لا يعمل في الحياة لأجل أن يستكثر من الطيبات هو يعني عموم الناس بيكون هذا الانشغال العظيم لأجل توفير الحد الأدنى أصلًا من متطلبات الحياة فمثل هذا الإنسان عندما يقرر في خاصة نفسه كيف سيتغير؟ وكيف يضع لنفسه المنهج الذي يلتزمه في الطاعات؟ يحتاج أولًا إلى النظرة الواقعية كن واقعيا، انظر لحالك.

أنا أستطيع مع هذا القدر من الانشغال وهذا القدر من التعب وهذا القدر من العمل الاستنزافي ماذا أستطيع أن أقدم في هذه المرحلة؟ أستطيع أن أقدم: واحد اتنين ثلاثة بما يتناسب مع ظروفي، طيب وأستطيع بعد ذلك إن شاء الله مع الاستمرار والمداومة أن أزيد، وأستطيع بإذن الله عندما تتغير أحوالي أن أزيد، المهم أن الإنسان ينظر بهذه النظرة الواقعية إلى نفسه ثم بعد ذلك ينظر بنفس المنظور الواقعي إلى غيره فلا يضع معايير ومقاييس بعيدة عن الواقع للحكم على الناس.

من أيضًـــا الفوائد الجميلة الحقيقة في هذا الحديث ما قاله الإمام أبو العباس القرطبي قال: "أن في هذا الحديث دلالة على جواز طلق التطوعات، لكن من داوم على ترك السنن كان نقصا في دينه، فإن كان تركها تهاونا بها ورغبة عنها كان ذلك فسقا لورود الوعيد عليه حيث



قال –صلى الله عليه وسلم–: "فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنّي"[٦] وقد كان صدر الصحابة ومن تبعهم يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض –اسمع الكلمة دي– "كانوا يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض، ولا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابها، وإنما احتاج الفقهاء إلى التفرقة لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها وبوجوب العقاب على الترك ونفيه"

الحقيقة ملمح جميل جدا، هو عايز يقول لك إن الصحابة –رضوان الله عليهم– عندما كان يأتيهم الأمر أو عندما كانوا يسمعون عن الشيء النبي –صلى الله عليه وسلم–، يسمعون عن أي شيء فيه مشروعية يسمعون عن أي شيء ندب إليه الشرع، ما كان سؤالهم هو يا ترى ده سنة ولا فرض؟ هو أنا لازم أعمله ولا ممكن أسيبه؟ أبدا، متى ما سمعوا أن هذا الأمر من الدين كانوا يتقاتلون عليه، كانوا يداومون عليه وكانوا يحرصون عليه أيما حرص، وكانوا يتألمون لتركه بغير أن يكون منهم مزيد استفسار. يا ترى ده واجب ولا سنة؟ مجرد أن هذا من أمر الشرع كان له موقع في قلوبهم، ونحن نحتاج إلى إعادة التعامل أيضًا مع مثل هذا. كثير من الناس عندما يسمعون أن هذا الأمر سنة للأسف بدلا من أن يقع هذا الأمر موقعه في قلبه صارت كلمة سنة عنده معناها أنه غير ملتزم به خلاص يعني والله أنا بقى ممكن أعمله ممكن ما اعملوش، ففارق كبير المنهجية التي كان عليها الصحابة –رضوان الله عليهم– من المسارعة في رضوان الله والمسارعة في الخيرات والإقبال على كل أبواب الطاعات وبين من خلفهم، فكانوا بعد ذلك في همة قاصرة ولم يكن لديهم مثل هذه الرغبة العظيمة في أداء الخير.

نحتاج إلى إعادة توصيف لكلمة السنة. كلمة السنة قد تعني في الدلالة الفقهية أن هذا فعلاً أمر الإنسان إذا فعله يكون على خير وإذا تركه لا يلحقه ذنب ولا عقاب نعم؛ لكن ليس معنى هذا أن الإنسان يترك السنن، بل كما ذكر الإمام القرطبي يعني اللي بيداوم على ترك السنن أن هذا الإنسان أساسا على باب شر عظيم.

وبالحديث أيضًا عن مسألة المثالية أنا ذكرت أن الحكم على الأشخاص يحتاج إلى إعادة نظرة. يعني أنت عندما تحكم على إنسان معين انت تحاكمه إلى منظورك انت، منظور إيه؟ المنظور المثالي. فعندما تجد إنسان في ظاهره الصلاح ماذا يحدث إذا نظرت إليه فوجدته هو على حال معين أخطأ فيه؟

مثال سيدنا أبو بكر في حديث مشهور استضاف بعض الأضياف الذين وردوا على النبي –صلى الله عليه وسلم– وتأخر عليهم، هؤلاء الأضياف لم يتناولوا الطعام بعد ما وضع لهم كانوا ينتظرون أبا بكر –رضي الله عنه–، فعندما جاء أبو بكر وجد الأضياف لم يأكلوا غضب غضبا شديدا ونادى على ابنه وسبه وقال له كلاما شديدا جدا موقف كان عجيب. يعني سيدنا أبو بكر اللي هو المشهور عنه الحلم، المشهور عنه الرقة واللين تجده في هذا الموقف غاضب يعني تكلم بكلام شديد جدا. لو انت ركزت على الموقف ده بس وحطيته قدام عينيك كيف سيكون الحكم؟ يعني انت لو بعدت عن أي حاجة ونسيت الفضائل ونسيت ما كان من سبقه ونسيت ما كان فيه من كذا ومن كذا، انت تلقائيا هتحكم عليه حكم سلبي. انت وجدت إنسان بيفعل حاجة الحاجة دي مش كويسة، فتلقائيا انت هيقع في قلبك آه دي حاجة مش كويسة يبقى ده انسان بيعمل حاجة مش كويسة. هل وجود مثل هذا الخلل الجزئي ينسف كل الفضائل اللي عليها الإنسان؟

هو ده المنظور اللي بكلمك عليه عندما تبتعد عن المثالية الزائدة وتتعامل مع واقعية البشر هتجد إن لابد يكون هناك نظرة تعديلية تعدل هذه النظرة تعدل هذه المنهجية في الحكم. الإنسان مهما كان على خير وعلى صلاح وعلى استقامة هو بشر فيه من الخير وفيه من الشر، فيه من عوامل ترتقي به نحو الكمال وعوامل النقص. فأنت لو عايز تحكم على إنسان احكم عليه حكما إجماليا. تشوف ما فيه من الخير وتوازنه ما به من الشر. تجد ما فيه من الأمور التي يحمد عليها وبعض الأمور التي قد تكون من النقائص التي قد تخدش هذه الصورة لكن كن منصفا، ما تبقاش زي بعض الناس الذين في قلوبهم مرض، يتصيدون الأخطاء إذا ما رأوا إنسان معين وهذا الإنسان فيه شيء من الخير وصدر

---

[٦] صحيح مسلم



منه شيء من الزلل يتركون هذا الخير العظيم ويتمسكون بهذا الزلل، يتناسى كل المواقف الناصعة، يتناسى كل الفضائل التي كان عليها، شوف عمل إيه؟ شوف سوى إيه؟ بل وبعضهم –سبحان الله– يعني إذا كان ده عند من في قلبه مرض أحيانًا تجد هذا أيضًا عند أهل الصلاح للأسف، تجد فلان بيقول لك عمل كذا وكذا وكذا انت لو سألته هو الإنسان المفروض ما يغلطش؟ يقول لك لا، هو الإنسان فيه نقص؟ يقول لك آه أنا معترف إن الإنسان فيه نقص، بس خلي بالك برضه فلان كان المفروض ما يعملش كذا وكذا وكذا، يبقى إذًا هو عارف إن فيه نقص وعارف إن الإنسان ممكن يخطئ لكنه في واقعه لا يتقبل هذا النقص ولا يتقبل هذا الخطأ يعني فرغ مفهوم الإيه؟ النقص من مدلوله الحقيقي، وبيعامل الإنسان على إنه المفترض يبقى كامل ولا يصدر منه أي خلل وهذه خلل في تقييم الأشخاص.

الإنسان عليه أن يكون منصفا، عليه أن يكون على هذه النظرة؛ نظرة مثالية في تعامله مع الشرع؟ لا، ولا تعامله مع نفسه ولا تعامله مع الآخرين، لابد أن يكون هناك منظور واقعي؛ منظور واقعي في نفسك في تعاملاتك في سلوكك.
هذا المنظور الواقعي لا يعني القبول بالواقع –حتة مهمة نختم بها– هناك فارق ما بين تقبل الواقع وبين قبوله بحيث إن هو لا يكون فيه هناك تغير، لا، المقصود أن تكون واقعيا في التعامل مع ما هو أمامك، وتكون بعد ذلك على منهجية في التغيير تتناسب مع هذا الواقع مع نفسك، مع ظروفك، مع ما حولك. عندما ترتقي من المثالية التامة إلى الواقعية المنتجة ستجد كل الخير.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يفقهنا في الدين وأن يعلمنا ما ينفعنا. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، والى لقاء قادم إن شاء الله تعالى.